

بسم الله الرحمن الرحيم
(مادة العقيدة ٢)
الدرس الثاني عشر

س/ ظهور الفتن من أعظم علامات الساعة، ووضح ذلك؟

ج/ ظهور الفتن من أعظم المسائل التي ينبغي لنا أن نتنبه لها، وأن نقف معها، وأن يكون حديثاً تتحرك معه نفوسنا إلىأخذ الحيطة والحدر والانتباه حتى يسلم الإنسان في دينه، وحتى يحفظ عقيدته، وحتى يلقى ربه -بإذن الله جل وعلا- على هداية وسنة.

- وما يدل على عظم هذا الباب: الحديث الذي عند البخاري في صحيحه لما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في يوم القيمة واقفاً على حوضه، فوفد إليه جملة من أمته، حتى إذا قربوا من نبينا -صلى الله عليه وسلم- خُسف بهم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «يا رب، أمتى أمتى» فيقول الله -عليه الصلاة والسلام: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده.

فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «سحقاً سحقاً»، هذا من الأحاديث العظيمة التي تفشعر منها الأبدان، ويخشى معها الإنسان ويخاف أن يحدث له بلاء أو أن تظهر له فتن، أو أن يقرب من شر تزل معه قدمه، ويجهو بها لسانه، وتظهر بها عيته، وتنشر بها عيته، فيلقى الله -جل وعلا- على ضلال، ويده ما جمع من الخير والاستقامة والثبات على أمر الله -جل وعلا- ودينه.

- ولذلك يقول مالك بن الحويرث -كما عند البخاري في الصحيح- كنا نكثر أن نقول: «اللهم إنا نعود بك أن نرد على أعقابنا أو أن نفتن».

- قال -صلى الله عليه وسلم-: «إنى لأرى الفتنة من خلال بيوتكم كموقع القطر» فلعظم الفتنة وكثرتها وتابعها فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثلها بمواضع كثرتها من أنها تأسى إلى البيوتات وإلى الطرق وإلى الشوارع وإلى الناس كمواطن القطر، ولما كانت مواطن القطر متناهية في الانتشار والسرعة وبلغ كل أحد حتى ولو كان مستكتاً أو مختبئاً؛ فإنه لا ينفك، إما أن تدخل إليه من خلال نافذة أو باب، وإنما أن يخرج إليها، فالغالب أن أحداً لا ينفك عن ذلك. فكانت الفتنة هكذا.

- ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «إنها تكون فتن، فيقول المؤمن إذا أقبلت : هذه مهلكتي، هذه مهلكتي، فإذا انجلت فإنه يتبع بعضها فتن، فيقول: هذه هذه»، هذه يدل على أنه لا يخلو الإنسان أنه لكتها فتن، كلما خفت رياح بلية رجعت عاصفة في أخرى، وهكذا، ولا يزال الزمان على هذا الحال حتى يلقى المؤمن رب.

- ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان يمر المؤمن بقبر أخيه -أو يلقى جنازة- فيقول: يا ليتني مكانه».

فهذه أمور عظيمة، من كان يعلم أن أعظم شيء يملكه في هذه الحياة هو عقيدته التي يؤمن بها، ودينه الذي يلهج بلا إله إلا الله، وشهادة أن محمد رسول الله؛ فإنه لا يزال خائف على ذلك أن

يزول منه، أو أن يذهب أو أن ينقص، أو أن يحصل فيه ما يذهب عليه خالص إيمانه وسلامة اعتقاده، فيحصل له أنواع من الضلال.

- ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم: « تكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من استشرف لها استشرفته»، فلما جعل باب المفاضلة والمقارنة بين قاعد وقائم؛ دلَّ على أن الإنسان الذي هو أبعد ما يكون عن الفتنة وهو القاعد في بيته أو الذي بعُد في مكانه أنه لا ينفك منها، وإنما هو خير من القائم، أخف من القائم، والقائم الذي هو قائم، والغالب أن القائم أكثر تعرضاً لها وتصدياً لرياحها فهو أقل من الماشي، والماشي أقل من الساعي، حتى إن من استشرف لها فقد تمنى ووقع في قلبه شيء من الميل إلى هذه الفتنة فإنها تستشرفه، ولا تزال تجد طريقاً إليه حتى تقرَّ في قلبه أو تقد عليه في نفسه. هذه أحاديث عظيمة يعرف بها المؤمن عظم هذه الفتنة وشدة لها وبلاءها والخوف منها والحيطة من الوقوع فيها.

* ولأجل هذا خاف السلف على أنفسهم من الواقع في هذه الفتنة وسؤال ربهم -جل وعلا- السلامة منها زاد الأمر.

- فورد عن ابن عمر أنه كان كثيراً يقول: "اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن".

- وجاء عن سلمة بن الأكوع أنه اعزز المدينة خوفاً من ذلك.

وتتابع على ذلك السلف وجرت بذلك قصص كثيرة في أخبار الأنمة في خوفهم على أنفسهم إما من فتن المال، أو فتن الرئاسة، أو ببعض الفتن العامة أو غيرها مما ذكره كثير في سير السلف الصالح والعلماء، والفقهاء، فكان ذلك من أعظم الأمور التي نزداد بها خوفاً وحيطة وطلباً لحفظ ديننا وعقيدتنا، ورجاء السلامة من أن يصيبنا هذا البلاء، أو أن تنزل بنا هذه الفتنة.

● من الأمور العظيمة التي أيضًا يفتن الناس فيها:

الشبهات التي تعرض لهم، ويفرح الناس بذكر الشبهات، خاصة لما قامت وسائل الإعلام بجعل إما مناظرات أو مناقشات أو عرض -كما يقال- للرأي والرأي الآخر، أو سوى ذلك من أبواب كثيرة فتحت على الناس، صار الصغير يتلقى قبل الكبير، ومن في بيته يتلقى مثل من في عمله، ومن كان عارفاً حافظاً له من العلم والرخصة مثل من كان جاهلاً قليلاً العلم والفهم، وقليل الديانة، كلهم يتلقون على حد سواء، فلا تسأل بعد ذلك عن الآثار التي تلحق بالناس عند تلقينهم لهذه البلايا وهذه الفتنة على حد سواء.

● ومن ذلك فتنة الأموال

في إقبال الناس على التكثير منها ثم إنك لا ترى الناس يتذمرون أياً يكون فيه سلامه، أم يكون فيه شبهة، أم يكون حراماً.

أما ترون الناس يتذمرون إلى كثير من الأمور التي يعلم أنها محل للشبهة ثم يقول أحسن الناس حالاً: هل لي أن أتخلص من ذلك أو من بعضه؟ أو كيف السبيل إلى تتنقيته؟ إلى غير ذلك من الأشياء التي جعلت هذه أرفع درجات الورع وأسلمها، إلا من رجم الله -جل وعلا-

● ومن ذلك فتن الشهوات، فتن النساء والتعلق بالصور وغيرها:

فالشاشات التي جعلت باباً من أعظم الأبواب إلى ذلك، فلا تجد كثير من النساء إلا قد وقع في قلبها من الإعجاب بهذا أو ذاك أو نحوه، ومثل ذلك ما يحصل للرجال حتى إن الصورة لخروج ليلة من الليالي أو دقيقة من الدقائق حتى يتناقلها أمة من الناس كثير، كل هذا من الفتن التي وقعت والبلايا التي حصلت، لأن الإنسان لم يقرأ يوماً في كتاب الله -جل وعلا: {قُلْ لِّمُؤْمِنِينَ يَعْضُوُا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور: ٣٠]، {وَقُلْ لِّمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظُنَّ فُرُوجَهُنَّ} [النور: ٣١].

= فهذه الفتنة وهذه البلايا التي حصلت مما أخبر به نبينا -صلى الله عليه وسلم- هي من أشراط الساعة.

- ولذلك ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث عظيم: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويسمى كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

* فهذا باب من أبواب الفتنة، فقد يكون الرجل يصلي الفجر ويصلي الظهر ويصلي العصر، لكنه قال كلمة في الظهر أخرجته من دين الإسلام، أو اعتقاد عقيدة في باب من الأبواب فارق به أهل الإسلام، أو رد كتاب الله -جل وعلا-. وكذب ببعض آياته أو الاعتقاد فيها.

● ومن ذلك فتن الدساتير البشرية والقوانين الوضعية وغيرها ذلك:

ظن الناس أن هذا الدين غير صالح لهذا الزمان أو يمكن تعديله، أو أنه يمكن القيام ببعض العبادات وبعض الأعمال، ولا يمكن جعله شريعة للناس في كل أمورهم وشؤونهم.

س/ كيف النجاة من الفتنة؟

ج/ - كتاب الله تعالى:

- ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم: النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إنها تكون فتن. قيل: فما المخرج منها يا رسول الله؟

قال: «كتاب الله»، فكتاب الله -جل وعلا- تلاوة وتدبرًا واهتداءً بهديه من أعظم ما يكون للعباد واقياً من الواقع في الفتنة، ومن أعظم ما يمكن أن يوقف عليه، وكل كتاب الله -جل وعلا- حافظ للإنسان.

إذا قرأ الإنسان قول الله -جل وعلا: {وَلَا يَسْتَخِفُكَ الَّذِينَ لَا يُوقَنُونَ} [الروم: ٦٠]، كم هي هذه الآية حافظة للإنسان من أن يُذعن إلى كلام كثير يُلقى عبر الكثير ولا حقيقة له ولا أصل له، ولا عمدة عليه من كتاب الله -جل وعلا-. ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فتكون هذه الآية حامية للإنسان وحافظة له أن يقع في ذلك البلاء أو أن يتلطخ في ذلك المستنقع.

- قال الله -جل وعلا- عن نبيه {وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء: ٧٤]، إذا كان هذا هو رسول الله المؤيد بالوحى، الذي أنزل عليه كتاب الله -جل وعلا-. والذي هو معصوم من الخطأ والخلل، لو لا تثبتت الله -جل وعلا-. له لربما جرى عليه شيء مما يعرض له من هذه العوارض وهذه الشبه، فكيف بمن دونه.

- العبادة:

العبادة والتنسك والتوجه إلى الله -جل وعلا- اضطراراً والتجاء، دعاءً وخوفاً ورجاءً أن يعصم الله قلبك وأن يسلم لك نفسك، وألا تزيف، {رَبَّنَا لَا تُرْزِقْ فُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} [آل عمران: ٨]، اللهم إني أعوذ بك أن أذل أو أذل، يدعوك بهذه الأدعية، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتنة -على ما جاء عن ابن عمر.

كل ذلك من أعظم الأمور دعاءً وتعبداً، فهما بابان، ولذلك جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «عبادة في الهرج كهجرة إليه». و«باردوا بالأعمال فتنًا»، يعني المبادرة إلى الأعمال الصالحة من أعظم الأعمال.

ولابن رجب -رحمه الله تعالى- كلام عظيم جميل في قوله: «عبادة في الهرج كهجرة إلى». فيقول: أوقات الهرج في الجاهلات وحصول الضلالات والبلايا كحال الجاهلية، والوالم فيها كالذي تلطخ بالجاهلية وما فيها من البلاء، والخارج منها إلى التعبد كالمهاجر من الجاهلية إلى الإسلام، لما يحصل له من النجاة، ولما يحصل له من السلامة، ولما يكمل له من النور والضياء والإشراق والبعد عن هذه البليات.

- العلم والتعلم:

باب العلم والتعلم وإقبال عليه، هذا من أعظم الأبواب التي يحفظ بها الناس عن الفتنة، ومما يشير إلى ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «ويثبت الجهل ويُرفع العلم»، دل على أن الجهل طريق من طرق انتشار الفتنة وحصول الضلالة.

- إذا حصلت الفتنة رجع إلى الأمر الأول:

يعني أنه في إبان اشتعال الفتنة، فإنه لا ينبغي أن يحدث في ذلك تلقياً جديداً، لأن هذا يكون على حين عدم رؤية، بل إذا رجع إلا ما تلقاه قبل الفتنة من الأشياء التي حفظها وعرفها؛ فإنه سيجد له -بإذن الله جل وعلا- متكناً رصيناً.

وهذا جاء عند الطبراني بلفظ: «فعليكم بالأمر الأول»، يعني الذي عهدهم قبل حصول هذه الفتنة.

ولهذا ذكر الخطابي -رحمه الله تعالى- في كتابه العزلة كلاماً عظيماً، في أثر عن سعد بن أبي وقاص قال -لا أذكر اللفظ لكن هذا معناه- لما حصلت الفتنة، قال: "إنما مثلنا كمثل قوم كانوا في سفر، فثار غبار وعجاج، فلم يعرف الناس الطريق، فقال قوم: الطريق هنا هنا -يعني ذات اليمين-. فسلكوا ذات اليمين وهو عجاج وغبار، فضلوا فتبعوا وهلكوا."

وقال قوم: الطريق ذات الشمال، فسلكوا فقطعوا طريقاً فضلوا فتبعوا فهلكوا.

وقال أقوام: إنما أدركنا أنفسنا في هذا المكان، فلا نخرج مكاننا حتى يستبين طريقنا أو أن نموت هنا، فبقوا حتى انجلى ذلك الغبار والعجاج فاستبانوا طريقاً فسلكوا فنجوا".

س/ اذكر شيئاً من معالم الفتنة؟

ج/ = من معالم الفتنة: الاختلاط والاختلاف، فلا يدرى الحق فيها من الباطل. وكثرة التأويل في الفتنة من أعظم الأمور التي يكون بها البلاء.

= ومن أعظم معالم الفتنة: أن يبتلى الناس ببعض أهل الخير، يعني حتى بعض أهل الفضل قد تنزلق قدمه، ويجعل الله -جل وعلا- ذلك ابتلاءً للناس.

وهذا يتبيّن أيضًا بقول عمار لما قال: "إنكم تعلمون أن نبيكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «تقتلهم الفئة الباغية»، وإن الله ابتلاكم بزوجة نبيه لينظر أنتبعوا قوله، أم أنكم تذهبوا مذهبًا آخر".

ولهذا في فتنة مقتل عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- دخل فيها بعض فضلاء الناس محمد بن أبي بكر، وغيره، ونحوه، حتى كان سببًا لفتنة العوام، والكثير من غوغاء الناس وجهلتهم.

هذا وصل اللهم وسلم وبارك على النبي محمد